الأحباش في المجتمع الإسلامي
بلاد المغرب "انموذجا"

أ.د/ خالد حسين محمود حسين (•)

ملخص

يتناول هذا البحث الأحباش ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط من حيث روافد استجلابهم، ووضعيتهم الاجتماعية، وموقف المجتمع منهم، ثم دورهم داخل المجتمع من خلال تسربهم إلى المؤسسة العسكرية لما تمتعوا به من قوة بدنية، ونشاطهم الحرفي، ودورهم التجاري عبر مصاحبة قوافل التجارة في مسالك الصحراء، وقد أكدت الدراسة أن حضور الأحباش ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط كان ضعيفا مقارنة بغيرهم من أجناس السودان

(•) أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية - رئيس قسم التاريخ بكلية الآداب- جامعة عين شمس.

Abstract

This research deals with the Abyssinians in the Maghreb during the Middle Ages in terms of the sources of their recruitment, their social status, and the society's attitude towards them, Then their role within society through their infiltration into the military establishment due to their physical strength, their craft activity, and their commercial role through accompanying trade caravans in the desert routes. The study confirmed that the presence of the Abyssinians in the Maghreb during the Middle Ages was weak when compared to other Sudanese races.

مدخل:

رغم تعدد أجناس الرقيق وتنوع أعراقهم وتعدد أنشطتهم وأدوارهم في المجتمع الإسلامي خلال العصر الوسيط، فإن الكتاب القدامي لم يولوا أهمية للحديث عنهم، ولم يفردوا لأي جنس منهم مؤلفات خاصة[١]. باستثناء الأحباش، الذين خصهم القدامى بمؤلفات عدة، نذكر منها : كتاب"أمر الحبشة" للواقدي (ت ٢٠٧هـ/٨٢٣م)، وكتاب "العلة في اسوداد الحبش وغيرهم" لقسطا بن لوقا البعلبكي (ت٣٠٠هـ/٩١٣م)[٢]، وكتاب "مناقب الحبش" لجعفر بن أحمد السراج البغدادي (ت٥٠٠هـ/١١٠٧م) [٣]، وكتاب "تنوير الغبش في فضل السودان والحبش" "ومناقب الحبش" لابن الجوزي ت٥٩٧هـ/ ١٢٠١م[٤]، وكتاب "نور الغبش في لسان الحبش" لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ/ ١٢٤٤م)[٥]،

---

[١] نشير هنا الى كتاب ألفه صقلبي يدعى حبيب حمل عنوان "كتاب الاستظهار و المغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة"" أشاد فيه بفضائل أدباء الصقالبة من الأندلس، و درس فيه أشعارهم و رحلاتهم، لكنه في عداد المفقود. المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧، ج٣، ص٨٢.

[٢] القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥، ص١٩٩، ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة – بيروت، ١٩٧٨م.

[٣] الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥، ج١٩، ص٢٢٩.

[٤] الذهبي:مصدر سابق، ج٢١، ص٣٦٩.

[٥] الصفدي:نكث الهميان في نكت العميان، علق عليه ووضع حواشيه مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧، ص٢٧٠، السيوطي بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ، بيروت، ١٩٦٤، جـ١، ص٢٨٣، العمري:مساالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ، ج٧، ص٢٤٣.

وكتابي"أزهار العروش في اخبار الحبوش"[١]، و"رفع شان الحبشان" للسيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٦م)[٢]، وكتاب "الطراز المنقوش في محاسن الحبوش" لمحمد بن عبد الباقي (الفه عام٩٩١هـ/١٥٨٣م)[٣]، وكتاب"رونق الحسان في فضائل الحبشان"للزمزمى (ت١٠٦١هـ/١٦٥١م)[٤]، وكتاب "الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان" للقنائي (كان حيا قبل١٣٢١هـ/١٩٠٣م)[٥].

لكن المطلع على تلك الكتابات لا يكاد يظفر بشيء يتعلق بدور تاريخي حقيقي لهؤلاء الأحباش في العالم الإسلامي؛ حيث غلب عليها الطابع العمومي، فتكاد تتفق وربما تتطابق محتوياتها لتنصب حول الحديث عن موطن الأحباش، وأصولهم، وصفاتهم الجسمانية، ولغتهم، ومحاسنهم الأخلاقية، والترغيب في اقتنائهم والتسري بجواريهم، والتأكيد على فضائلهم ومناقب أعلامهم، استناداً إلى نصوص دينية ومأثورات، دون أن ترصد حضوراً حقيقياً للأحباش، أو تكشف عن دورهم وأنشطتهم داخل المجتمع الإسلامي.

وهو ما يفسر غياب للأحباش في الدراسات التاريخية المتعلقة بحقل التاريخ الإسلامي؛ بحيث لا يعثر الباحث على دراسة منفردة تتعلق بهم وبأحوالهم وأدوارهم داخل المجتمع الإسلامي، إذا ما استثنينا دراستين يتيمتين تتعلقان

---

(١) تحقيق:عبد الله محمد عيسى الغزالي، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ١٩٩٥ م.

(٢) تحقيق:صفوان داوودي وحسن عِبَجي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤١٦ هـ .

(٣) نشره ضمن أعمال ندوة الرق في تاريخ المغرب، كلية الآداب بالقنيطرة، ٢٠١٠م، ص ص ٧٧-١٢٨.

(٤) تحقيق:عبد الله محمد عيسى الغزالي، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ١٩٩٥ م.

(٥) طبعة المطبعة الكبرى ببولاق، القاهرة، ١٣٢٣هـ.

باليمن ومصر؛ نظراً لكثرة الأحباش فيهما؛ لقربهما من بلاد الحبشة، وتواصلهما معها تجارياً وحضارياً[١].الأولى للباحث عصام لاشين تحت عنوان:"العبيد الاحباش ودورهم في الحياة العلمية في بلاد اليمن ق٣-ق٧"[٢]، والثانية للباحث برهان درويش بعنوان "أثر الأحباش الحضاري في مصر ٦٤٨-٩١١م"[٣].

لكن غياب الدور التاريخي للأحباش داخل المصادر المذكورة لا يعني أنهم لم يكن لهم حضور داخل دار الاسلام خلال العصر الوسيط، حيث تند عند الحصر الإشارات الواردة في مصادر أخرى لتؤكد انتشارهم في عموم العالم الإسلامي، فكان لهم حضور بالحجاز[٤]، والعراق[٥]، والإحساء[١]، والشام[٢]، واليمن[٣]،

---

[١] انظر بهذا الخصوص دراسة محمد أحمد بهنساوي:"التجارة الخارجية في الحبشة في عصر الأسرة السليمانية ٦٦٩-٩٤٨هـ/١٢٧٠-١٥٤٣م"، حولية سيمنار التاريخ الإسلامي، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ع٤، ٢٠١٤، ص٣٢١-٣٥٠.

[٢] بحث منشور في مجلة كلية الاداب جامعة المنوفية، مج٢١، عدد ٨١، ابريل ٢٠١٠، ص ص ١١١-١٢٣.

[٣] بحث منشور في مجلة الجامعة العراقية، ع٤٢، ج١، ص ص١١١- ١٢٣.

[٤] الثعالبي:الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب، تحقيق إلهام المفتي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، ٢٠٠٠، ص١٣٥، ١٦٩. ابن المجاور: تاريخ المستبصر، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، تحقيق:ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٩٩٦م، ص١٥. والذي ذكر أن السمرة انتشرت في عرب مكة لأن "جلة مناكحهم الجوار السود من الحبش والنوبة"، ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ١٩٦٩م، ج١، ص٢٠٩، ٢٨٧.

[٥] الهمداني:الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٤١٥ هـ، ص٣٠٦، ابن العمراني:الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق:قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠١ م، ص٢٠١، ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت، ١٩٩٧ م، ص١٤٠، ابن أيبك الداوداري:كنز الدرر وجامع الغرر،

ومصر[٤]، والمغرب[٥]، والأندلس[٦].سواء داخل البلاطات السياسية أو بين الأوساط الشعبية. وكان حضورهم الفاعل واحتكاكهم بمختلف الشرائح الاجتماعية وراء إجادة عدد من سكان هذه المناطق للغة الأحباش[٧].

ج٦، تحقيق: صلاح الدين المنجد ، مطبعة الحلبي، ١٩٦١ م، ص٥٢٠. ، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق احسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٣، ج٤، ص١٤٨٤، ١٦٤٨.

[١] ناصر خسرو:مصدر سابق، ص١٤٣.

[٢] النعيمي الدمشقي: الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق:إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ١٩٩٠م، ج٢، ص٨٢، ١١٨، ١٥٢.

[٣] ابن خلدون:ديوان المبتدأ والخبر، تحقيق:خليل شحاد ة، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨م، ج٤، ص٢٧٣.

[٤] ابن يونس المصري: تاريخه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ، ج١، ص٢٥٤، ٣٩٩، الذهبي:مصدر سابق، ج٨، ص٣٠٤، ج٣٨، ص٣٤٧، ج٤٠، ص٢٠٨، الأصفهاني:لبستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ، ٢٠٠٢ م، ص٢٦٩، ابن تغري بردي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، د.ت، ج٥، ص٢٦٦.

[٥] مجهول: المعزى فى مناقب ابى يعزى، مخطوط بعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٢٠٤١ تاريخ، ورقة١٠٣. ابن أيبك الداوداري:مصدر سابق، ص٢٦٧.

[٦] الطرطوشي:سراج الملوك، ، من أوائل المطبوعات العربية، مصر، ١٨٧٢م، ص١٦٧، ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق:عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة ، بيروت، ١٩٩٥م، ج١، ص١٢٧، الذهبي:سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص٢٨١، ٢٩٠.

[٧] ابن الشعار الموصلي:قلائد الجمان في شعراء هذا الزمان، تحقيق كمال الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥، ج٥، ص٢٦، الذهبي:سير اعلام النبلاء، ج٢٢، ص٨٧، الموصلي: مصدر سابق، ج٥، ص٢٦. ياقوت الحموي:معجم الادباء، ج٥، ص٢٢٦٣، ج٧، ص٢٩٠٧، الذهبي:تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق:عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣ م، ج٣٦، ص٤٣٠، ج٣٧، ص٢١٢، الصفدي: نكث الهميان، ص٢٢٠، العمري: مصدر سابق، ج٤، ص٦٦.

نظرة المجتمع الإسلامي للأحباش.

تباينت نظرة المجتمع الإسلامي للأحباش بين التقدير والازدراء؛ فثمة نظرة ايجابية رسخ حضورها ما حظيت به الحبشة وأهلها من مكانة كبرى عند المسلمين؛ للدور المشهود في حماية الرعيل الأول من المؤمنين، وما قدمه بعض الأحباش من تضحيات في سبيل الله والتشبث بالإسلام، فيما عرف بـ"مفاخر...الحبش"[١]، فضلاً عن أن "فِيهِمْ كَثْرَة وشهرة"[٢]؛ حيث برز منهم أنبياء وحكماء وصحابة وتابعون ومحدثون وزهاد وعباد ونساك وصلحاء وعلماء[٣].

وهي النظرة التي دفعت نحو الحث على إكرام "كل حبشي"[٤]، فالحبشي إن كثرت عيوبه إلا أن له "مهابة وجلالا"[٥]. وشاع عن الأحباش أنهم جنس "مبارك

---

(١) الجاحظ:الرسائل السياسية ، دار هلال، بيروت، د.ت، ص٥٣٦.وقد أورد الجاحظ أبياتاً شعرية للشاعر عكيم الحبشي وهو يتفاخر ببني جلدته ومن انتسب إليهم من الأعلام مثل النجاشي وغيره.

(٢) ابو العلاء المعري: رسالة الغفران، صححها ووقف على طبعها: إبراهيم اليازجي، مطبعة أمين هندية ، القاهرة، ١٩٠٧ م ، ص٢٠٣.

(٣) ابن الجوزي: تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، تحقيق مرزوق علي ابراهيم، دار الشريف، الرياض، ١٩٩٨، ص٨٣، ٩٨، ، ١٤٥، ١٥٣، ٢٠٣، ٢٣٢، ابن منظور الافريقي: مختصر تاريخ دمشق، تحقيق روحية النحاس وآخرين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ١٩٨٤م، ج٥، ص٢٦١، الحكري:إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق عبد الرحمن عادل واسامة ابراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١، ج٨، ص٣٦١، ج١١، ص٣٥٧، الهجراني: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، دار المنهاج، جدة، ٢٠٠٨ ، ج١، ص٤٣٨، ج٢، ص٥٩، ج٥، ص٣٤٢، ج٦، ص٢٠١، ٢٤٦.

(٤) المقري: مصدر سابق، ج٥، ص١٨٥.

(٥) ابو العلاء المعري:مصدر سابق، ص٢٠٣.

ميمون يصحبه السعد والبركة في الحركات والسكون"[١]، وقيل"من أدخل بيته .. حبشية أدخل الله بيته بركة"[٢]. وفي إطار هاته النظرة أفتى بعض الفقهاء بأن جميع المشركين لا تقبل منهم الجزية الا "الحبش والترك"[٣].

وفي بعض كتب المناقب، تم توظيف الأحباش في إطار الكرامة الصوفية والدور الولائي، فاستناداً إلى ما للأحباش من مكارم وفضائل فقد نُسب إليهم الصوفي المغربي الأشهر الشيخ أبو يعزى يلنور (ت٥٧٢هـ/١١٧٧م) فقيل إنه "عبد حبشي"[٤]. وأورد ابن الزيات[٥]رواية تتعلق بترجمة الزاهد الشيخ محمد بن تميم الزناتي، الذي تخلف مع غيره عن المشاركة في معركة الأرك الشهيرة، فرآه أحدهم في منامه، وقد جاءه "أسود حبشي وقال له:بعثني إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لك: لا تنس أمتي". واستمراراً في سياق اثبات الكرامة، أورد ابن الزيات[٦] أيضا رواية تتعلق برفقة من أهل الزهد والولاية ركبوا البحر يوماً فهاج بهم واشتد فخاطبه أحدهم :"اسكن أيها البحر فإنما أنت عبد حبشي،

---

[١] ابن عبد الباقي:مصدر سابق، ص٨٧.

[٢] ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية ، ٢٠٠٢ مج٣، ص٣٤٥

[٣] اللخمي:التبصرة، دراسة وتحقيق: أحمد عبد الكريم نجيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، – ٢٠١١ م ، ج٣، ص١٤٤٧.

[٤] التادلي: كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، المغرب، سلسلة الاطروحات والرسائل رقم ٦، ١٩٩٦، ص١٨٤، ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، د.ت، – ٢٠٠٨ ، ج١، ص٢٧٤.

[٥] ابن الزيات:مصدر سابق، ص٣٩٥، عبد الإله بنمليح: الرق في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٤، ص٢١٠.

[٦] مصدر سابق، ص٦٤.

قال :فسكن حتى صار كالزيت".ورغم ما تلح عليه الرواية من حطٍ لشأن الأحباش، إلا أنها تحمل بين طياتها دلالة واضحة حول الطاعة والامتثال والخضوع للإرادة الإلهية، وهي لا شك صفات تمثل الغاية العظمى التي استفرغ الأولياء والصلحاء طاقتهم وجهدهم من أجل الوصول إليها والتخلق بها.

توالت في المصادر إشارات عن أحباش كانوا من أهل الولاية والصلاح والزهد[١].كما أشادت أدبيات الزهد والرقائق والأخلاق والمناقب بأحباش سبقوا غيرهم بخلق الوفاء[٢]، والشفقة والمرحمة[٣]، والمداومة على الأذكار واغتنام الأوقات في الباقيات الصالحات[٤]، وكثرة البكاء من خشية الله[٥]، والمسارعة إلى

---

[١] ابن الجوزي:صفوة الصفوة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩، ج٣، ص٢٠٣. الهجراني:مصدر سابق، ج٥، ص٣٤٢، ج٦، ص٢٠١، ٢٤٦، ابن الفوطي:مجمع الآداب في معجم الألقاب، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، طهران، ١٤١٦ه، ج٢، ص١٢٩، ج٣، ص٤٤٦، ج٤، ص٥٨٥. وخخص ابن الجوزي في كتابه "تنوير الغبش" فصلا بعنوان "ذكر المتعبدين منهم والزهاد" وآخر تحت عنوان "المتعبدات من نسائهم والفاضلات".

[٢] ابو حيان التوحيدي:الامتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤ه، ص٢٤٢، مسكويه:تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص٢٠٨.

[٣] البيهقي:المحاسن والمساوىء، وقف على طبعه فريدريك شوالي، ١٣١٨هـ، مطبعة غليوم، ليبسك، ج٢، ص٦١٣. باب "محاسن العبيد".

[٤] الغزالي:إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج٤، ص٤١٥.

[٥] ابن رجب الحنبلي: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩٩هـ، ص٦٢..

التوبة والإنابة[١]، وعدم الرهبة من الموت، والاستعداد للقاء الله[٢]، ويذل غاية الجهد وتحمل المشاق الكبرى في سبيل تأدية الفرائض[٣]. وبات رؤية الحبش في الأحلام والرؤى بشارة لكل يمنٍ وخير ومحبة[٤]. وتقديرا للحبشي فقد أُطلق عليه "أبو البيضاء"[٥]، و"أبو الضياء"[٦]، و"أبو المسك"[٧]، و"أبو السرور"[٨]، و"أبو الخير"[٩].

لكن في مقابل تلك النظرة التي ألحت على فضائل الأحباش و"مناقبهم العلية ومراتبهم السنية وما لهم من أنفس شريفة وأخلاق رائقة لطيفة"[١٠]، تعرض الأحباش لنظرة اجتماعية أخرى عبرت عن الدونية والازدراء[١١]، طالت السودان

---

[١] ابن قدامة المقدسي:التوابين، مدار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ص٨٩، ابن الجوزي:المدهش، تحقيق مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٥٥.

[٢] الغزالي:مصدر سابق، ج٤، ص٤٥٨.

[٣] ابن الجوزي:التبصرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، ص١٤٣.

[٤] النابلسي:تعطير الانام في تفسير الاحلام ، دار الفكر، بيروت، د.ت، ص١٩١.

[٥] ابن قتيبة:المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، مج١، ص٥١١.

[٦] ابن عبد الملك المراكشي:الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق احسان عباس وآخرين، دار الغرب الاسلامي، تونس، ٢٠١٢، ج١، ص٣٥٣. قيل "ما ضر الحبشي لونه وان ازدروه".

[٧] الهجراني:مصدر سابق ، ج٣، ص١٥٩.

[٨] الهجراني:مصدر سابق، ج٤، ص١٤.

[٩] ابن الفوطي: مصدر سابق، ج١، صص٣٤٧.

[١٠] ابن عبد الباقي:مصدر سابق، ص٧٨.

[١١] ابن عبد الملك المراكشي:مصدر سابق، ج١، ص٣٥٣. قيل "ما ضر الحبشي لونه وان ازدروه".

عامة[١]، وهو ما أكده ابن الجوزي[٢]حين تحدث عن دوافع تأليفه لكتاب "فضل السودان والحبش" حيث قال "اني رأيت جماعة من أخيار الحبشان تنكسر قلوبهم لأجل اسوداد ألوانهم ..ووضعت لهم هذا الكتاب في ذكر فضل خلق كثير من الحبش ".

وهكذا كالت بعض المصادر للأحباش أسوأ النعوت والأوصاف[٣]، فوصفتهم بأنهم أبعد ما يكون عن طباع البشر[٤]، واتهمتهم بالحقارة[٥]، والسفه[٦]، والغباء ونقصان العقل[٧]، والطيش والجهل والحماقة وعدم القدرة على

---

[١] انظر بهذا الخصوص دراسة:

Akbar M. :" The Image of Africans in Arabic literature: same unpublished .Manuscripts" , in Slaves and Slavery in Muslim Africa ,pp.47-73

وربما عمق من تلك النظرة الطابع العدائي الذي غلب على العلاقات الإسلامية الحبشية ومنذ وقت مبكر.

انظر محمد جبر أبو سعدة:"نص قديم حول علاقة الحبشة بالدولة الإسلامية في عهد عثمان بن عفان"، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، مج٦، ع٦، ١٩٨٢، ص ١٧٩-١٨٩، غيثان علي جريس:" تظور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز في صدر الإسلام"، مجلة جامعة محمد بن سعود الاسلامية، ع٨، ١٩٩٣، ص ٤١١-٤٣٣.

[٢] تنوير الغبش، ص٢٩.

[٣] ساعد على تلك النظرة صورة أبرهة الحبشي في المخيال العربي وما ورد من أحاديث حول هدم الكعبة في آخر الزمان على يد عبد حبشي.الهجراني:مصدر سابق، ج١، ص٤٢٠.

[٤] مؤلف مجهول:حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ترجمه عن الفارسية:السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ص٢٣.

[٥] ابن عبد الملك المراكشي:مصدر سابق، م١، ص٣٥٣.

[٦] ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج٥، ص٢٨٨.

[٧] ابن الفقيه:البلدان، تحقيق:يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦، ص١٩٩.

التمييز[١]، والشر[٢]، والفساد[٣]، واتباع الشهوات[٤]، وشدة الغضب[٥]، والكسل[٦]. وبات الحر القرشي مقابلاً للعبد الحبشي من حيث الرفعة والشرف، فقيل: "تواضعْ للمحسن إليك وإن كان عبدا حبشيّا، وانتصفْ ممن أساء إليك وإن كان حرّا قرشيّا"[٧] وقيل "أكرموا من أكرمكم وإن كان عبداً حبشياً، وأهينوا من أهانكم وإن كان رجلاً قرشياً"[٨]، وأن للسلطان أن يرفع "عبدا حبشيا، ويضع قرشيّا"[٩]، وأنه "ليس للدنيا وفاء، ولا تتوافق مع أحد، لا الرفيع ولا الوضيع، لا القرشيّ ولا الحبشي"[١٠]. وأخبر أحدهم أنه لما احتضر بشر بن مروان جعل

---

[١] صاعد الاندلسي::مصدر سابق، ص١٤٧، ١٥٣.

[٢] ابن خرداذبة:مصدر سابق، ص١٤٥، البكري: المسالك والممالك، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٢ج١، ص٣٥٥، ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، ١٤١٤هـ ، ج٤، ص٣١٣، الحميري:مصدر سابق، ص٢٥٦.

[٣] البلاذري: انساب الاشراف، تحقيق سهيل ذكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦ج٧، ص٣٩.

[٤] ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج٥، ص٣٠٣، ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية ، ٢٠٠٢ م، ج٣، ص٣٣٩.

[٥] القالي: الأمالي، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط٢. ١٩٢٦م، ج١، ، ١٣٨.

[٦] قيل "أنوم من عبود كَانَ حَبَشِيًّا حطابا لم ينم فِي محتطبه أسبوعا ثمَّ رَجَعَ فَنَامَ أسبوعا".المستقصى في الزمخشري: أمثال العرب، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط٢. ١٩٨٧م، ج١، ص٤٢٦.

[٧] أبو حيان التوحيدي: أخلاق الوزيرين ، حققه وعلق عليه: محمد بن تاويت الطنجي، دار صادر ، بيروت، ١٩٩٢ م، ص٩٢، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣ هـ، ج٦، ص٦٦.

[٨] ابن منظور:مختصر تاريخ دمشق، ج٤، ص٣٥٩.

[٩] الحصري القيرواني: زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج٢، ص٦٠٨.

[١٠] ابن فندمة: تاريخ بيهق، دار اقرأ، دمشق، ١٤٢٥هـ، ص٥١٣.

يبكي ويقول: "واللهِ وَدِدْتُ أني كنتُ عبدًا حبشيًّا لِأسوأ أهلِ البادية؛ أرعى غنمهم ولا أدخلُ فيما دخلتُ فيه"، ولما مات دفن بجواره عبدٌ حبشي... ثم مَرَرْتُ بعد أيام فلم أُميِّز بين القبرين، فقلت: قبَّحكِ اللهُ من دنيا آخِرُها هذا"[١].

وعليه، تم تشبيه كل وضيع يسعى نحو الرفعة "كالحبشي يرتقي في السلم"[٢]. وهو ما استند إليه الوزير أحمد بن عطية في رسالته للخليفة عبد المؤمن الموحدي(٥٢٧- ٥٥٨هـ/١١٣٣ – ١١٦٣م) والتي عدد فيها أنه لو ارتكب كل خطيئة لا تخطر على قلب بشر، ثم استشفع عند الخليفة عبد المؤمن بالمهدي بن تومرت لغفر له كل تلك الخطايا، وذكر منها: "وابغضت كل قرشي وأكرمتُ .. كل حبشِي"[٣].وكأن إكرام الحبشي والإحسان إليه من منظور الوزير خطية تستوجب الصفح والعفو. وفي المجلس ذاته عقب أحد حاشية الخليفة ويدعى ابن وزير عن مدى طاعته وانقياده للخليفة وخضوعه له بقوله "وسيدنا رضي اله عنه لو جعل بينه وبين عبيده واجناده وعماله ورعيته عبدا حبشيا يوصل له عنا كلامنا ومسائلنا لعظمناه وأملناه وهاديناه"[٤].

واستناداً إلى تلك النظرة الدونية بات مشاورة الأحباش دليلاً على التواضع والتبسط وخفض الجناح وترسيخ مبدأ الشورى رغم دونية الشخص المشاور،

---

[١] ابن الجوزي: مراة الزمان في تواريخ الاعيان، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الرسالة العالمية، دمشق، ٢٠١٣، ج٩، ص٩٥، ٩٧.

[٢] الجرجاني:أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق عبد الحليم هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١، ص١٣٧.

[٣] السلاوي:الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ت، ج٢، ص١٣٣.

[٤] ابن عذارى:مصدر سابق، قسم الموحدين، ص٥٨.

وهو ما تجلى في قول أحدهم :"إني لاستشير حتى هذه الحبشية"[١]. وفي السياق ذاته وصف ابن الخطيب[٢]مدينة سلا بالنضارة والحضارة "والأسواق السارة حَتَّى برقيق الحبشان". وكأن اشتمال تلك الأسواق على العبيد الأحباش لا يمنع كونها تسر الناظرين.

واتخذ الشعراء من الأحباش وأوصافهم مادة لهجاء خصومهم ومنافسيهم[٣]. ولم يسلم من ذلك حتى بعض الفقهاء الذين نعتوا الأحباش بأنهم السفلة الذين يرضون بالذل والصغار[٤]، ولذا فقد أفتوا بتوقيع الحد على من قال لعربي يا "حبشي" لأن ذلك إهانة له وتنقيص من قدره، في حين يسقط عنه هذا الحد إن نعت حبشياً بأنه بربري أو فارسي أو قبطي[٥]؛ استناداً إلى أن هذه الأجناس أرفع قدراً من الأحباش. كما شاع في بلاد المصامدة أن "نكاح الحبشية..عار"[٦].

---

[١] الثعالبي: الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب، تحقيق إلهام عبد الوهاب المفتي المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٠، ص٢٠٨.

[٢] معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، تحقيق محمد كمال شبانة ، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٢، ص١٥٢.

[٣] بن قتيبة الدينوري: المعاني الكبير في أبيات المعاني تحقيق: سالم الكرنكوي وعبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن، ١٩٤٩م، ج١، ص٣٢٩، ٤٥٣، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج١٤، ص٢٩٠.

[٤] الزرقاني: شرح الزُّرقاني على مختصر خليل، ضبطه وصححه وخرج آياته: عبد السلام محمد أمين ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢ م، ج٣، ص٢١١.

[٥] سحنون: المدونة، ج١٦، ص ٣٢، ابن ابي زيد القيرواني:مصدر سابق، ج١٤، ص٣٢٣، ابن يونس الصقلي:الجامع لمسائل المدونة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٣ م، ج٢٢، ص٤٧٦، خليل بن إسحاق: التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب، تحقيق:أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ٢٠٠٨م، ج٨، ص٢٦٣.

[٦] ابن الزيات:مصدر سابق، ص٣٢٨.

ويبدو أنها نظرة عامة شملت المجتمع الإسلامي بشكل عام حتى أن أحدهم كان يعير بأمه فكان يقال له "يابن السوداء ...وكانت حبشية"[١].

اشكالية التمييز بين الحبشة وسائر السودان:

ثمة إشكالية تواجه محاولة البحث في موضوع "الأحباش" تتعلق بدلالة هذا المصطلح في المصادر، هل تتعلق بالأصل العرقي أم بلون الجسد ووصفه؟ وهل كان لدى مؤلفي تلك المصادر القدرة على التمييز بين أنواع السودان ومواطنهم وأصولهم وأجناسهم؟

انقسم القدامى بخصوص ذلك إلى فريقين: **فريقٌ تمكَّنَ من التمييز** بين أجناس الرقيق الأسود، والتمس المعايير الكفيلة بتجاوز الخلط والتعميم، اعتماداً على أماكن الجلب ومواطن التوريد؛ فالحبشي "بِفَتْح أَوله وَالْمُوَحَّدَة مَعًا وَكسر الشين الْمُعْجَمَة"[٢]، "نسبة إلى الحبشة"[٣]، التي تقع على بحر القلزم وتنحصر حدودها بين بحر القلزم وبلاد الزنج والبجة والنوبة والصحراء[٤]، ويُطلق على الجماعة

---

[١] البلاذري:مصدر سابق، ج٧، ص١٢.

[٢] ابن ناصر الدين الدمشقي:توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣، ج٣، ص١٠٨.

[٣] السمعاني:الأنساب، تحقيق عبد الرحمن المعلمي وآخرين، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٦٢، ج٤، ص٤٧، ابن القيسراني:المؤتلف والمختلف، تحقيق:كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١هـ، ص٥١.

[٤] الاصطخرى:المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤، ص، ١١، ابن حوقل:صورة الارض، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨، ص١٦، ابن الوردي:خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق انور زناتي، مكتبة الثقافة الاسلامية، القاهرة، ٢٠٠٨، ص٣٨.

مسميات: الحبشة والحبش والأحباش والأحبش والحبشان والأحبوش والأحابيش((١)).

يبدو أن الجغرافيين والرحالة والبلدانيين والنسابة كانوا أعلم من غيرهم وأدرى بالأجناس والأعراق والمواطن، فقد عدد اليعقوبى(٢)أجناس"الرقيق السودان من الميريين والزغاويين والمرويين وغيرهم من أجناس السودان".وأشار المسعودي(٣)إلى"سائر السودان" و"أجناس السودان"(٤)، و"أنواع السودان"(٥) ووعدد منهم "النوبة والبجة والزنج ..الزغاوة والكانم ومركه وكوكو وغانة"(٦). وأكد الاصطخري(٧)أن بلاد السودان بلاد عريضة تجمع أجناساً شتى، وميز سودان غرب افريقية عن غيرهم من سودان الشرق ووصفهم بأنهم ليسوا "بنوبة ولا بزنج ولا بحبشة ولا من البجة إلا أنهم جنس على حدة أشد سوادا من الجميع".ورصد صاحب كتاب حدود العالم(٨)سودان شرق افريقيا ومنهم "الزنج

(١) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦ م، ص١٠٣، البغدادي:مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـ، ص١٦٣، السيوطى: رفع شان الحبشان، ص ٧٠، ابن الخطيب:معيار الاختيار، ص١

(٢) البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ص١٨٣.

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣، ج١، ص٨٣.

(٤) المسعودي:مصدر سابق، ج٢، ص٢٠.

(٥) المسعودي:مصدر سابق، ج٢، ص٤.

(٦) المسعودي:مصدر سابق، ج٢، ص٤.

(٧) مصدر سابق، ص٤٠.

(٨) مجهول:حدود العالم من المشرق إلى المغرب، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ص٧٣.

والحبشة والبجة والنوبة". واشار صاعد الاندلسي[١] إلى "أصناف السودان من الحبشة والنوبة والزنج وغانة وغيرهم".وسجل الزهري[٢]أن نهر النيل يسكن على ضفتيه أمم كثيرة من السودان فمن كان منهم ناحية "المشرق فهم الحبشة وما كان لناحية المغرب فهم النوبة والزنج وجناوة". ونبه ابن خلدون[٣]إلى ضرورة "التمييز بين الأمم"، وأن مسمى السودان اسم جامع لكل "الأمم المتغيرة بالسواد"[٤]، لكن لابد من التفريق بين "أمم السودان والحبشة والنوبة"[٥]، أو "الزنج والحبشة والنوبة"[٦]، ف "الحبشة مختصاً بمن تجاه مكة واليمن والزنج بمن تجاه بحر الهند"[٧].

وأمعاناً في التمييز، تم التنبيه على عدم الخلط بين "الحبش وسائر أجناس السودان" [٨]، كالنوبة والبجة والزنج وجناوة والزغاويين والمروبين والكانميين والغانيين[٩]. وتجنباً للخلط بين سودان الشرق الافريقي تم التمييز بين"الزنج

---

[١] التعريف بطبقات الامم، تحقيق غلام رضا، مؤسسة انتشارات هجرت، طهران، ١٩٩٧، ص١٤٤، ١٤٥.

[٢] كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص١٢٣.

[٣] العبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨، ج١، ص١٠٧.

[٤] ابن خلدون:مصدر سابق، ج١، ص١٠٦.

[٥] ابن خلدون :مصدر سابق، ج٢، ص٢٧٧.

[٦] ابن خلدون: مصدر سابق، ج٤٦ص ٢٦٤

[٧] نفسه.

[٨] البغدادي:تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٢، ج١، ص٥١.

[٩] ابن خرداذبة:المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ١٨٨٩، ص٨٣، الاصطخري:مصدر سابق، ص٤٠، ابن الفقيه:البلدان، تحقيق:يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦، ص١٢٩، ٤٣٠، مجهول:حدود العالم، ص٧٣، ، صاعد الاندلسي: مصدر سابق، ص١١، الإدريسي:مصدر سابق، ج١، ص٣٠، ٣٨ ، ، الحميري:مصدر سابق، ص٦١٩.

والحبش"[١]، و"السودان والحبش"[٢]، و"النوبة والحبشة"[٣]، و"الحبشة والبجة"[٤].

وكشف آخرون عن معايير جسدية يمكن الاستناد إليها لتجاوز الخلط فالأحباش يمتازون عن غيرهم من السودان "باعتدال الوجوه"[٥].كما أن ألوانهم تختلف عن الزنوج فـ"الزنج أشد سوادا من الحبشة"[٦]، وعليه تم التمييز بين"سواد الحبشة واحتراق الزنج"[٧]. واستناداً إلى اللون كمعيار للتميز بين أنواع السودان ذكر البكري[٨]بان سودان كانم "جنس على حدة أشد سوادا من الجميع ..وليس بنوبة ولا بزنج ولا بحبشة ولا من البجة". وهكذا يتضح أن ألوان الأحباش كانت تجمع "بين السواد والبياض"[٩]، أو سواد مائل "إلى الصفرة كلون الزيت"[١٠]، فـ

---

[١] ابن حوقل:مصدر سابق، ص٨.

[٢] ابن عبد الحكم:فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٥ه، ص٢٨.

[٣] القزويني:آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ص١٥، الزوزني:قشر الفسر، تحقيق عبد العزيز المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، ٢٠٠٦، ج١، ص١٤٥.

[٤] مجهول:حدود العالم ، ص٧٣.

[٥] مجهول:حدود العالم، ص٢٠٣.

[٦] الاصطخري:مصدر سابق، ص٣٥، ابن حوقل:مصدر سابق، ص٥٠.

[٧] الثعالبي: ثمار القلوب، ص٥١٦.

[٨] البكري:مصدر سابق، ص١١.

[٩] الاصطخري:مصدر سابق، ص٣٥.

[١٠] العكبري:شرح ديوان المتنبي، تحقيق مصطفى الصقا وآخرين، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج٤، ص٢٩٥،

"الحبش الغالب عليهم الصفرة"[١]، وهكذا ترد إشارة عن "حبشي أصفر يروق العين"[٢]، وعن "جارية حبشية صفراء"[٣]، وعن "حبشيّ صافي اللون""[٤]

بل أبعد من ذلك، مكنت دراية البعض وخبرتهم بالأعراق والأجناس من التمييز بين الأحباش أنفسهم، فلما كانت بلاد الحبشة كبيرة وردت إشارات حول "أجناس الحبشة"[٥] أو "أصناف الأحابيش"[٦]، أو "انواع الاحابيش"[٧]؛ ربما لتعدد المدن والأقاليم داخل بلاد الحبشة نفسها فـ"للحبشة مدن كثيرة وعمائر واسعة"[٨]، فيما عرف بـ "ممالك الحبشة والاحابيش"[٩]، أو "بلاد الأحابيش"[١٠]،

---

[١] العكبري: نفسه، الكتاني الأندلسي:كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق احسان عبتس، دار الشروق، بيروت، ١٩٨١، ص٢٢٦.

[٢] النويري:مصدر سابق، ج١٠، ص٧٣، القلقشندي:صبح الاعشى في صناعة الانشا، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٨، ص٣٩٠. كما تغنى بعض الشعراء بجمال الغلمان الأحباش. انظر ابن الشعار:مصدر سابق، ج٨، ص١٥٠.

[٣] العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ، ج٢٤، ص٢٨٧.

[٤] ابن شاهين الظاهري:نيل الامل في ذيل الدول، تحقيق عمر تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢، ج٤، ص٢٢١.

[٥] ابن سعيد: الجغرافيا ، ص٩٨، المقريزي:الالمام باخبار من بارض الحبشة من ملوك الاسلام، ص١٠٤

[٦] البكري:مصدر سابق، ج١، ص٢٣٠.

[٧] البكري:مصدر سابق، ج١، ص٣٢٠، المسعودي:مصدر سابق، ج٢، ص٢٠.

[٨] المسعودي:مصدر سابق، ج٢، ص١٨

[٩] مجهول:الاستبصار ، ص١٠٣، البكري:مصدر سابق، ج١، ص٥١١، الحميري:مصدر سابق، ص٣٦١.

[١٠] البكري:مصدر سابق، ج١، ص١٩٨.

والتي احصاها البعض[١]باثني عشر اقليماً.وعليه فقد أشار البعض إلى أنواع الأحباش مثل "الأبحرية والسحرية والداموتية"[٢].و "القراقر ومديدة ومريس والمبرس والملانة والقوماطي ودويلة والقرمة..وغيرهم من أنواع الأحابش"[٣].

في مقابل هذا الفريق ظهر **فريق آخر توسع في استخدام مدلول المصطلح** فالحبشي مرادف للسواد[٤]، فالأحباش لا يُقال لهم "بيض ولا حمر وليس لهم اسم إلا السود"[٥]، وهكذا قيل عن الرجل الذي يميل لونه للسواد أن "فيه حبشية"[٦]. ولما كان لون أهل جنوب الجزيرة العربية أميل للسواد من أهل الشمال فهم "بالحبشية أشبه"[٧]. بناء على ذلك ونظراً لسمرة بشرة الصحابي عمار بن ياسر وجعودة شعره وصف بأنه "فيه حبشية"[٨].وفي تفسيرها لتسمية الزاهد محمد بن عيسى بن أبي الورد (ت٢٦٣هـ/٨٧٧م) بالحبشي ذكرت المصادر أنه "سمى حبشيا لسمرته"[٩]. ولما رأى رجلٌ بنتاً للفرزدق الشاعر سوداء اللون قال لها "فما بالك

---

[١] الالمام باخبار من بارض الحبشة من ملوك الاسلام، ص٧٨.

[٢] ابن عبد الباقي: مصدر سابق، ص١١٤.

[٣] المسعودي:مصدر سابق، ج٢، ص٢٠.

[٤] البطليوسي:الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦، ج٣، ص٢٧٠.

[٥] الجاحظ:الرسائل، ص٥٤٨.

[٦] ابن عبد ريه :العقد الفريد، ج٢، ص٢٤٢.

[٧] الجاحظ:الرسائل، ص٥٤٩.

[٨] ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق ، ج١٨، ص٢٠٦.

[٩] البغدادي: تاريخ بغداد، ج٣، ص٤١٩.

حبشية" [١]. وهو ما ينسحب على الشاعر القيرواني حسين التميمي(ت٣٤٣هـ/ ٩٥٥م) الذي لقب بعنترة لسواده حيث وصفته المصادر بأنه "حبشي أسود"[٢]. كما ترد اشارة تخص رجلاً خرج في سفر فأصابته السموم "فاسود وجهه حتى صار حبشيا"[٣].

وانطلاقاً من تعميم اللفظ على كل ما هو أسود وصُف خاتم الرسول الكريم بأن "فصه حبشي"[٤]، ووصف رجل شديد السواد بأنه "حبشي حبشته حبشية"[٥]، ووُصف الغراب بأنه "حبشي داجنة يخر ويعتلي"[٦]، والفحم بأنه "فاحم الجلباب حبشي الجسم"[٧]، والزق بأنه "حبشي لا حراك به"[٨]، والليل لسواده بأنه "كالحبشي"[٩]. وشبه الشاعر الاندلسي احمد بن فرج الجياني (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) دياجي الليل بأنها "أحابيش"[١٠]، وشبه آخر[١] الدجى بأنه

---

[١] ابن عاصم الغرناطي: حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر، قرأه وعلق حواشيه عبد اللطيف عبد الحليم، مطبعة دار الكتب والوثائق اتلقومية، القاهرة، ٢٠١٤، ص٧١.

[٢] ابن رشيق القيرواني:انموذج الزمان في شعراء القيروان، تحقيق محمد العروسي وبشير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٦، ص٣١٦.

[٣] البلاذري:مصدر سابق ، ج١، ص١٣٢.

[٤] ابن عبد ريه :مصدر سابق، ج٥، ص٨.

[٥] الجاحظ:الرسائل، ص٥٥٧.

[٦] ابو العلاء المعري:مصدر سابق، ص٨٧.

[٧] الباخرزي:دمية القصر وعصرة أهل العصر، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤هـ، ج١، ص٦٦١.

[٨] ابو هلال العسكري:ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص٣٢٩.

[٩] الصولي:اشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، مطبعة الصاوي، القاهرة، ١٩٣٦، ص٢٠٨.

[١٠] ابو العباس التيفاشي: سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، تحقيق احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠، ص٢٥٥.

"جلدة الحبش". وهو ما نجد له نظيرا عند الشاعر الاندلسي علي بن أبي الحسين(ت٤٢٠هـ/١٠٢٩ م) الذي وصف ظلام الدجى والصبح يحفزه "كأنه جيش روم يهزم الحبشا"[٢]. ومهد ابن الخطيب[٣]مقدمة كتابه معيار الاختيار بعبارة "ضمني الليل..ودلفت جيوشه الحبشية". وأنشد احمد بن عبد ربه(ت ٣٢٨هـ /٨٦٠م) في عنب أبيض وأسود :

أهديت بيضا وسودا في تلونها كأنها بنات الروم والحبش[٤].

وهكذا صار يُطلق لفظ حبشي على كل أسود على اختلاف موطنه[٥]، وباتت لفظة "الأحباش" اسماً جامعاً "يشمل جميع السودان[٦]، ليتسع مدلول بلاد الحبشة عند أحد القدامى[٧] ويحددها خطأ بالمنطقة الممتدة من بحر الهند شرقا وبلاد التكرور غربا وتشمل السودان الشرقي والأوسط والغربي. ففضلاً عن المثل الذي

---

[١] أبو الفتح العباسي:معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج٢، ص٣٣، المقري:مصدر سابق ج٤، ص٧٥.

[٢] الكتاني:مصدر سابق، ص٣٤.

[٣] معيار الاختيار، ص٧٣.

[٤] الكتاني: مصدر سابق، ص٨٥.

[٥] أبو البركات الموصلي: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ٢٠٠٥ م، ج٨، ص١٩٢.

[٦] الحطاب الرعيني: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، ١٩٩٢، ج١، ص١٢٧.

[٧] المقريزي: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق الدكتور محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢م، بيروت، ج١ ، ص٣٨٧

يشير إلى ندرة الشيء كندرة "الأبيض بين الحبشان"[١]، قيل أن كل ما "وراء الصحراء من الحبشة"[٢]. وأن البجة "جنس من أجناس الحبشة"[٣].وأن كل "زنجي حبشي"[٤]، وأن "البجاة جنس من الحبش"[٥]، وأن الأحباش أصناف وأنواع "الزّغاوة والمفافوا ومركة وكوكو وغانة وغيرهم من أنواع الأحابيش"[٦]، وأن بلاد الزنوج كل ما يقع جنوب أسوان وأطلق على ملكها اسم "سلطان الحبش"[٧].

ويبدو أن هذا الخلط أثار انتباه ابن وهب الكاتب[٨](ت بعد **٣٣٥هـ/٩٤٧م**) فراح يصحح المسار بقوله:"فأما السواد الذي هو من أوصاف الحبشي فليس حيث وجدناه حكمنا لحامله بأنه حبشي ومتى قلنا ذلك كنا مبطلين، ولكنا إذا قلنا: إن بعض من يوصف بالسواد حبشي صدقنا".

---

[١] ابن الخطيب:الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، **١٩٦٣**، ص**٧١**.

[٢] المقري:ازهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة، **١٩٣٩**، ج**١**، ص**٢٧٩**.

[٣] مسكويه:تجارب الامم وتعاقب الهمم، تحقيق ابو القاسم امامي، سروش، طهران، **٢٠٠٠**، ج **٤**، ص**٣٠٢**.

[٤] ناصر خسرو:سفر نامه، تحقيق:يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط**٣**. **١٩٨٣**، ص**١٤٣**.

[٥] مجهول:الاستبصار ، ص**٨٥**.

[٦] البكري:مصدر سابق، ج**١**، ص**٣٢٦**.

[٧] بنيامين التطيلي:رحلته، المجمع الثقافي، أبو ظبي، **٢٠٠٢**م، ص**٣٤٦**، **٣٤٧**.

[٨] البرهان في وجوه البيان ، تحقيق: حفني محمد شرف ، مكتبة الشباب، القاهرة، **١٩٦٩** م، ص**٦٧**.

صفات الاحباش المرغبة في اقتنائهم

تم الإقبال بشكل لافت على جلب الأحباش والاستكثار منهم في عموم العالم الإسلامي لما تمتعوا به من "الامتياز على سائر أصناف الخدم والارتفاع على سائر الأتبع والحشم"[١]، من خصال محمودة رفعتْ من قدرهم عند مالكيهم ورغبت في الاستكثار منهم[٢] وجعلتهم "مرغوب في جنسهم"[٣]. فقد وصفت المصادر الأحباش بأنهم "أفضل أجناس السودان"[٤]. للذكور منهم "حذق ومعرفة يتباينون بها من سائر قبائل السودان"[٥]، وعندهم"الكرم الوافر وحسن الخلق"[٦]، والشجاعة والأمانة على النفوس والأموال[٧]وحسن الخلق وقلة الأذى وطيب النفس وحسن الظن وخفة الحركة والروح[٨].

---

[١] ابن عبد الباقي:مصدر سابق، ص٨٦.

[٢] ابن سعيد: بسط الارض ، ص ٣٠.

[٣] ابن سعيد: الجغرافيا ، ص ٩٧.

[٤] ابن سعيد:الجغرافيا، ص ٩٧.

[٥] البكري:مصدر سابق، ج١، ص٣٢٧.

[٦] ابن الجوزي:تنوير الغبش، ص٤٠.

[٧] القرافي: مصدر سابق، ج١٠، ص٤٠٨. قال صاحب كتاب " الحدس والفراسة في امتحان من يباع من الرقيق بصناعة " :

والحبش خير الزنج والسودان وخير مأمون من الغلمان

فيهم صلاح ولهم سداد وعفة يزينها اقتصاد

وفيهم أمانة وصون للمال والنفس وفيهم عون

نقلا عن :مؤلف مجهول: التحقيق فى شراء الرقيق، مخطوط بمعهد المحفوظات العربية تحت رقم ١٥/اجتماع ، ورقة ٥٠.

[٨] ابن الجوزي: تنوير الغبش، ص ٤١ ، السيوطي:رفع شأن الحبشان، ص٢٠٣. ومما يروى في هذا الشأن أن عبدا حبشيا ناوله سيده طعاما يأكله ثم انه طلب منه قطعة منه فلما أكله وجده

كما عجتْ المصادر بالإشادة بما تمتعت به بعض الحبشيات من دقائق الجمال ولطائف الحسن حتى صرن نموذجا للذوق الجمالي ومضربا للمثل في الدلال[١]، ففيهن "محاسن وصباحة ورشاقة وملاحة"[٢] و "جمال وحلاوة وحسن نغمة"[٣]، ولهن "القناء والكحل والشعور المرسلة"[٤]، والشفاه الشهية[٥]. وتميزن بـ"طيب الأفواه وسهولة العبارة وعذوبة الكلام"[٦].وبشرتهن تجمع بين السمرة والصفرة

مرا فسأله " يا غلام كيف أكلت هذا مع شدة مرارته ، قال: يا مولاي قد أكلت من يدك حلوا كثيرا ولم أحب أن اريك من نفسى كراهة لمرارته " فشكر السيد له واعتقه ، انظر التوحيدي: مصدر سابق ، جـ٢ ، ص ١٢١.

[١] مجهول: أوصاف الغلمان وأوصاف الجوارى الحسان، مخطوط بعهد المخطوطات العربية، تحت رقم١٨٧ ادب"رواق المغاربة"، ورقة ٣٥، الضبي:بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧ م، ص٢٨٠. بن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ، تونس، ١٩٧٨م، ج٢، ص٧٥٨، ابن خلكان: وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر بيروت، ج٧، ١٩٩٤، ص٣٧، السيوطي: رفع شأن الحبشان، ص٢٠٤-٢٠٥، ابن عبد الباقي: "كتاب الطراز المنقوش في محاسن الحبوش"، ضمن أعمال ندوة الرق في تاريخ المغرب، كلية الآداب بالقنيطرة، ٢٠١٠م، ص١١٤-١١٥.

[٢] ابن عبد الباقي:مصدر سابق، ص٧٨.

[٣] ابن الوردى: مصدر سابق ص١٣٩. لكن في المقابل وصفت بعض المصادر أمة حبشية بأنها "حبشية ..مشوهة المنظر".الرقيق القيرواني:قطب السرور في اوصاف الانبذة والخمور، منشورات الجمل، ٢٠١٠، ص٤٣. واخرى بأنها "مشقوقة القدمين كبيرة الشفتين". الرجراجي: مَنَاهِجُ التَّحصِيلِ ونتائج لطائف التَّأْوِيل في شَرحِ المدَوَّنة وحَلِّ مُشكِلاتها، اعتنى به: أبو الفضل الدّميَاطي و أحمد بن عليّ، دار ابن حزم، ٢٠٠٧ م، ج٣، ص٣١٣.

[٤] البكرى: مصدر سابق ، جـ١ ، ص ٣٢٧.

[٥] ابن هلال الصابىء:الهفوات النادرة من المغفلين الملحوظين والسقطات الباردة من المغفلين المحظوظين، تحقيق صالح الأشتر، منشورات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ت، ص٩.

[٦] ابن الجوزى: تنوير الغبش ، ص ٤١.

التي تميزهن عن سواد الزنوج وبياض الروم[١]، . لذلك "حصلت زيادة الرغبة فيهن والانهماك بحبهن"[٢]. فالحبشية "رشيقة القد طويلة القامة عظيمة الهامة كاملة العقل شهمة النفس عطرة..فطنة حاذقة ضحوكة السن كبيرة المزاج"[٣]. وشاع بين الناس وقتئذ أنه "لا أسحر بعينها من حبشية"[٤]، تصيد بها "أرباب الهوى والهيام"[٥]. وتغنى الشعراء بجمال الحبشيات[٦]، و"الملاح الصفر من ولد الحبش"[٧]، لذا ارتفعت أسعارهن حتى أن "قيمة الجارية الحسناء منهن ثلثمائة دينار وما فوقها"[٨].كما يشير الجاحظ[٩] إلى جارية حبشية بلغت من الجمال الفائق أن بلغ سعرها "مائةُ ألف دينار وعشرون ألف دينار"

أوصى أهل الخبرة والدراية والمعرفة بالتسري بالحبشيات لأن " أشهى النساء.. الحبشيات وبنات الحبشيات "[١٠]، ولأن "جماعهن يشفى العليل ويطفىء الغليل ويزيل الأمراض الحادثة من البرودة والرطوبة وينفع من وجاع

---

[١] ابن خاقان:قلائد العقيان، طبعة: مصر، ١٨٦٦م، ص٦٢، القرافي: الذخيرة، ج٥، تحقيق:محمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي، بيوت، ١٩٩٤م، ص٢٤٣، العمري:مصدر سابق، ج٢٤، ص٢٨٧، الزرقاني:مصدر سابق، ج٥، ص٣٨٦، ج٨، ص٥٨.

[٢] ابن عبد الباقي:مصدر سابق، ص١١٤.

[٣] ابن عبد الباقي:مصدر سابق، ص ١١٤.

[٤] البكرى: مصدر سابق ، جـ١ ، ص ٤٩٣.

[٥] ابن عبد الباقي:مصدر سابق، ص١١٥.

[٦] الجاحظ:الرسائل، ص٥٥٦، ابن الجوزي:تنوير الغبش، ص٢٣٩، الباخرزي:مصدر سابق، ج١، ص٣٥٧، الابشيهي:مصدر سابق، ج٤، ص٣٢٧.

[٧] النويري:مصدر سابق، ج٥، ص٧٨.

[٨] ابن الوردي:مصدر سابق، ص١٣٨.

[٩] الرسائل، ج٢، ص١٧٧.

[١٠] الجاحظ: الرسائل، ج١، ص٢١٥، الزرقاني:مصدر سابق، ج٥، ص٣٨٦، ج٨، ص٥٨.

المفاصل...وذلك لصحة امزاجهن واعتدال عناصرهن وقوة أبدانهن"[١]، و"فيهن خاصية ليست فى نساء الآدميين وذلك أنهن اشد النساء لحما وأضيقهن فروجاً وأحسنهن مباشرة "[٢]، كما أنهن "ألطف مما عداهن مزاجاً وأرق بشرة وأعدل حرارة فلذلك هن أوفق مطلقاً "[٣]. كما أنهن "ليس فيهن من ذفر السودان شيء"[٤]. لذلك كان الرجال "يستحسنون اتخاذ السراري منهم، ويفضلونهن على جميع ما يتخذون"[٥]، كما فتن بهن "الخلفاء والملوك وأعيان الناس"[٦]، وكانوا يتنافسون في "أثمانهن ويتخذونهن أمهات أولاد لحسنهن وطيب مباضعتهن"[٧].وهكذا تترد في المصادر الإشارات عن كثرة التسري بالحبشيات واتخاذهت أمهات أولاد من قبل الخلفاء والأمراء ومن دار في فلكهم من القادة والمتنفذين[٨]. ولذلك ظهر جيل من العرب" أعرقت فيه الحبشيات"[١]، عرفوا

---

[١] ابن عبد الباقي: مصدر سابق، ص١١٤.

[٢] ابن خلدون:مصدر سابق، ج٧، ص٣٢١.

[٣] داوود الانطاكي: تزيين الأسواق في أخبار العشاق، تحقيق محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٣، ص١٣٧.

[٤] البكري:مصدر سابق ، جـ١ ، ص ٣٢٧.

[٥] الحميري:مصدر سابق، ص٢٤٥.

[٦] ابن إياس: نشق الأزهار فى عجائب الأقطار، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم ٤٣٩ جغرافيا، ميكروفيلم ٤٥٨٥٣، ورقة ٧٥، العمري:مصدر سابق، ج٢٤، ص٢٨٧.

[٧] الحميري:مصدر سابق، ص٥٨٥.

[٨] البلاذري:مصدر سابق، ج٥، ص٧٨، ياقوت الحموي: معجم الادباء، ج٥، ص٢٠٢٢، ابن سعيد:المغرب في حلي المغرب، ج١، ص٥٥، الذهبي:سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٤١، ٤٢، ج٢٠، ص٣٩٩، السخاوي:مصدر سابق، ج٤، ص٢٢، ٢١٧، ٢٣٠، ٢٧٢، الهجراني:مصدر سابق، ج٤، ص٢٠٦، الرجراجي: مناهج التحصيل، ج٣، ٢١٨، الزرقاني:مصدر سابق، ج٣، ص١١٨. الهِجراني: مصدر سابق، ج٤، ص٢٠٦.

بـ"أبناء الحبشيات"[٢]، جمعت ألوانهم "السواد والبياض"[٣]، لأن آبائهم البيض قد كثرت على "مناكحهم الجوار السود من الحبش والنوبة"[٤].

وتحفظ لنا المصادر أسماء جوار حبشيات نلن الحظوة عند اسيادهن وتحولن الى امهات اولاد بعد اتخاذهن محطيات مثل طاب الزمان، وتفاحة[٥]، ونزهة[٦]، وغزال[٧]، وسبحاء[٨]، كوكب[٩]، وغصون[١٠]، ونور الصباح[١١].

وفي محاولة للتأكيد على التسري بالحبشيات ببلاد المغرب واتخاذهن مولدات تلوح أمامنا عدة اشارات، فقد اتخذ بعض الأمراء الاغالبة الحبشيات كحظيات وأمهات أولاد، وهو ما يفهم من بعض الألقاب التي حملها بعضهم مثل الأمير الأغلبي احمد بن عمر بن عبد الله الذى لقب بالحبشى[١٢].وفي دولة بني مرين تشير

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج٥، ص٣٠٣.

(٢) ابن المجاور: مصدر سابق، ص ١٥.

(٣) الاصطخري:مصدر سابق، ص٣٥.

(٤) ابن عبد ريه :العقد الفريد، ج٢، ص٢٤٢.

(٥) الفاسي:العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ج١، ص٢٨٠، ج٦، ص٣٨٥

(٦) ابن الفوطي:مصدر سابق، ج٦، ص٤٥٣.

(٧) الشوكاني:البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج ٢، ص١٩٥.

(٨) مختصر تاريخ دمشق، ج٦، ص١٥٨.

(٩) السخاوي:مصدر سابق، ج١١، ص١١٣.

(١٠) السخاوي:مصدر سابق، ج١٢، ص٣٠.

(١١) السخاوي:مصدر سابق، ج١٢، ص١٣٠.

(١٢) ابن عذارى: مصدر سابق، جـ١، ص ١٢٠.

المصادر إلى أن السلطان أبا سعيد عثمان بن يعقوب المريني تسرى بجارية حبشية أنجب منها ابنه الأكبر على[١]، الذي عُرف بالأكحل لسواد لونه[٢].

وامتد الأمر ليشمل أبناء الاوساط الشعبية فقد استأجر الإمام المهدى الفاطمى اثناء تواجده بسجلماسة دارا من رجل يعرف بـ"ابن الحبشية"[٣].ومع اختلاف المصادر حول الأصل العرقي للثائر أبي يزيد النكاري -الذي كانت أمه "امة سودانية تسمى سبيكة "[٤]- فإن إحدى هذه الروايات ترده إلى أصول حبشية فنعتته بـ"الحبشى الأسود"[٥] .وفي ترجمته للشيخ أبي مدين ذكر ابن الزيات أن أبا يعزى بشر تلميذه أبا مدين بأنه ستهدى له جارية حبشية يرزق منها ولدا، فأهدى له تاجر ببجاية جارية حبشية فرزق منها ولدا سماه محمد، ثم صار الشيخ في حيرة من أمره لأنه لم تكن لديه الرغبة في الزواج منها لأن " لان نكاح الحبشية عند المصامدة عار"، فتبرع احد تلامذته وتزوجها وكان يربي ولدها فحفظ القرآن وظهرت منه فراسات.[٦]. كما فضل الناس الحبشيات والزنجيات لارضاع الأطفال[٧]؛ لأن عندهن رحمة وحنينا للأطفال"[٨]، فـ"الحبشيات..يصلحن للائتمان

---

[١] ابن خلدون:مصدر سابق، ج٧، ص٣٢١.

[٢] السلاوي:مصدر سابق، ج٣، ص١١٨.

[٣] اليماني:سيرة جعفر الحاجب ، نشر ايفانوف، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، م ٤ ، جـ٢ ، ١٩٣٦ ، ص ١٩١.

[٤]ابن حماد: اخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم، تحقيق وتعليق جلول احمد البدوى، ط.المؤسسة الوطنية، الجزائر، ١٩٨٤ ، ص ٣٠.

[٥] البكرى: المسالك، جـ٢، ص ٦٩٨ .

[٦] التادلى: التشوف الى رجال التصوف، تحقيق احمد التوفيق، الدار البيضاء، ١٩٨٤، ص ٣٢٨.

[٧] مجهول: شراء الرقيق، ورقة ٤٩، السقطى: م.س، ص ٣٩. Savage: op. cit, p. 354.

[٨] السقطى: م.س، ص ٥٣.

على النفوس"[١] ولذا عرفوا باسم رقيق الحضانة"[٢]، بل نص ح الأطباء بألبانهن لعلاج بعض الأمراض التي تصيب الرضع[٣].

الأحباش والخصاء.

ارتبطت عملية الخصاء بالأحباش بشكل كبير حتى شاع في المجتمع الاسلامي أن "الحبشة بالإطلاق أفضل أجناس السودان وخصيان الملوك"[٤]، وأن "خصيان الحبشة أفضل خصيان"[٥]، و"أفخر الخصيان"[٦].وهكذا تتردد الاشارات عن "عبد خصي حبشي"[٧]، وعمن اشترى "خصياً حبشياً"[٨].ونظراً

---

[١] ابن بطلان: م.س، ص **٣٧٥**.

[٢] ابن ابى زيد القيرواني: النوادر والزيادات علي ما في المدونة من غيرها من الأمهات، ، تحقيق محمد عبد العزيز الدباغ، ط. دار الغرب الاسلامي، **١٩٩٩**، ج**١١**، ص**٣٥٥**.

[٣] ابن سينا:القانون في الطب الظِّئْر إِذا كَانَت زنجية أَو حبشية وترضع الصَّبِي فتزول الزرقة

[٤] ابن سعيد:الجغرافيا، ص **٩٧**.

[٥] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، **١٤٢٤** هـ، ج**٤**، ص**٣٠٩**. خريدة العجائب وفريدة الغرائب

المؤلف : سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، البكري القرشي، المعري ثم الحلبي المتوفى : **٨٥٢**هـ

المنسوب خطأ : للقاضي زين الدين عمر بن الوردي البكري القرشي

المحقق : أنور محمود زناتي – كلية التربية ، جامعة عين شمس

الناشر : مكتبة الثقافة الإسلامية ، القاهرة

الطبعة : الأولى ، **١٤٢٨** هـ – **٢٠٠٨** م

[٦] ابو الفدا:المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، القاهرة، د.ت، ج**١**، ص**٩٥**.

[٧] مصدر سابق، ص**١٣٩**.

[٨] السيوطي:حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد ابو الفضل، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، **١٩٧٦**، ج**١**، ص**٥٩٧**.

لارتباط الخصاء بالأحباش فقد ندر من العبيد من سلم من ذلك فيوصف بأنه " كان عبداً حبشياً فحلاً"[١].

تعددت مراكز خصاء الأحباش مثل مدينتى وشوا وهدية[٢]ومدينة سحرتة والتى وصف أهلها بأنهم "يخصون من يقع إلى أيديهم" [٣]، وحسب إشارة العمرى[٤] فإن "ملك أمحرة يمنع من خصي العبيد، وينكر هذا ويشدد فيه"؛ وهو ما حدا بالتجار إلى الذهاب بالعبيد إلى تلك المناطق لاتمام عملية الخصاء، ويبدو أن الحرص على سرعة إنجاز العملية إمعانا فى الكتمان والتستر عن الأعين أحدث حالة من الارتجال؛ مما أودى بحياة كثير من العبيد، وهو ما عبر عنه العمري[٥] بقوله: "والذى يموت منهم أكثر من الذى يعيش وأضر ما عليهم حملهم بلا معالجة من مكان إلى مكان ولو عولجوا فى مكان خصيهم كان أصلح لهم، ولولا نقلهم إلى مكان يعالجون به ما سلم .. أحد منهم".وهكذا سجل أحد الباحثين[٦] أن عملية خصاء السودان كانت على قدر كبير من الخطورة والإيلام وان قلة قليلة كانت تنجو منها سالمة حتى أن واحدا فقط من بين كل عشرة كان ينعم بالحياة بعد إجراء تلك العملية. ولعل فيما استخدمته المصادر من ألفاظ كالسل والقط

---

(١) النويري: مصدر سابق، ج٢٩، ص٣٦٠.

(٢) العمرى: م.س، جـ٤، ورقة٢٢، ابن سعيد: بسط الأرض، ص٣١ ، ابن الوردى: م.س، ص ٤٨.

(٣) ابن سعيد: الجغرافيا، ص ٩٨.

(٤) مصدر سابق، جـ٤، ص٧٧.

(٥) نفسه.

(6) Melvin): Slavery, Enc. Of the Social sciences, v. 13, 1949,p.79.

والشف[١]والقطع[٢]والمسح والإمتلاخ[٣] كمفردات لعملية الخصاء وأنواعه ما يؤكد على وحشية العملية ومضاعفة أثرها الإيلامى على الخصى.

أفرد الجاحظ في كتابه الحيوان[٤] فصلاً للحديث عن "خصيان الحبشة" تحدث فيه عن أثر الخصاء فيهم مثل تغير الصوت وثقل الحركة وخسة النفس وقلة النشاط وسلس البول وحدوث فتق بالسرة وانقلاب الشفاه وتغير لونها وكأنها مصابة بالبرص.

مصادر وروافد جلب الأحباش ومؤشرات حضورهم ببلاد المغرب.

تعددت روافد ومصادر جلب الأحباش خلال العصر الوسيط، وكان في مقدمتها **التجارة**؛ حيث اعتاد التجار دخول الحبشة لجلب الرقيق وتوزيعهم على بلاد الإسلام شرقاً وغرباً[٥]، لا سيما جزيرة دهلك التي كان " يحمل العبيد والإماء من الحبشة إلى سائر الآفاق"[٦]، وميناء زيلع (زالغ) الذي كان يرد إليه من "بلاد الحبشة...الرقيق والفضة"[٧]، واعتبره ابن سعيد[٨] "محل حط واقلاع ومنها يتوزع رقيق الحبشة على بلاد الاسلام الساحلية. وقد أجاد أهلها اللغتين العربية

---

(١) المقدسى: مصدر سابق، ص ٢٤٢.

(٢) مؤلف مجهول: بشائر الفتوحات والسعود في احكام التعزيرات والحدود، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٤١ بعثة المعهد الأولى إلي المغرب.، ورقة ٢٧.

(٣) الجاحظ: الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ، جـ١، ص ص ١٢٩-١٣١.

(٤) الحيوان، ج١، ص٧٦، ٧٩، ٨٠.

(٥) مجهول:حدود العالم، ص٢٠٣، ابن سعيد:بسط الأرض، ص ٣٢ ، الجغرافيا، ص ٩٩.

(٦) الحميري:مصدر سابق، ص٢٤٥.

(٧) الإدريسي:مصدر سابق، ج١، ص٤٤.الحميري:مصدر سابق، ص٢٨٢.

(٨) الجغرافيا، ص٩٩.

والحبشية[١]، وسواكن التي كان يخرج منها "رقيق البجاة والحبشة"[٢]، وزبيد التي كان إليها"أهل الحبشة يجلبون رقيقهم"[٣]. وكان لتجار مصر واليمن نشاط ملحوظ في هذا الجانب[٤]، فحسب الأصطخري[٥] كان " رقيقهم ونجبهم وسائر ما بأرضهم يقع الى مصر"، وهى العبارة ذاتها التي أدرجها ابن حوقل[٦] ضمن مؤلفه معقبا عليها بقوله " ورقيقهم... يقع الى مصر في جملة التجار المصريين او ما قدم به بعضهم".وذكر البكري[٧]أن بلاد الحبشة "يتجهز إليهم التجار بالامتعة من مصر واليمن وما يجاورها"، ومما ساعد على كثرة جلبهم إلى مصر أن "مالت ملوكهم إلى الحبشية، ورغبت في الاستكثار منهم، حتى أصبحت مصر بهم آهلة"[٨]، "حتى أن الحبشي ليباع بالكساء"[٩]. و"بربطة ورق"[١٠]. وأشار

---

[١] العمري:مصدر سابق، ج٤، ص٦٦.

[٢] الحميري:مصدر سابق، ص٣٢٣.

[٣] الحميري:مصدر سابق، ص٢٨٤.

[٤] الهمداني:مصدر سابق، ص٥٣، ٩٨، المقدسي:أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١، ص٧١، ٢٤٢، ياقوت الحموي:معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ج٤، ص٧٨، العمري:مصدر سابق، ج٣، ص٤٧٤، ج٤، ص٣٩.

[٥] مصدر سابق ، ص ٥٤.

[٦] مصدر سابق ، ص ١٦٢.

[٧] مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٣٢٧

[٨] العمري:مصدر سابق، ج٣، ص١٧٩.

[٩] ابن عبد الحكم:مصدر سابق، ٥٤. قيل ان كافور الاخشيد كان خصيا حبشيا بيع عام ٣١٢هـ/٩٢٤م بثمانية عشر دينارا وهو ثمن قليل بالنسبة لاسعار الخصيان في تلك الفترة والذي كان ياراوح بين ٢٥ الى ٣٠ دينارا. آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ت محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط. لجنة التاليف والترجمة، القاهرة ١٩٥٧، ج١، ص٢٦٦-٢٦٧

[١٠] المقريزى: الإلمام بإخبار من بأرض الحبشة، مصر، ١٨٩٥، ص ص ١٦، ١٧.

الإدريسى[١] إلى القرب الجغرافي بين الحبشة وبلاد اليمن والذى ترتب عليه أن كان "أهل الحبشة يجلبون رقيقهم إليها". كما ترد المعلومات حول جلب وصائف حبشيات إلى مرسى عدن[٢]. ومن مصر واليمن دخل الأحباش إلى بلاد المغرب، حيث كانت تلك البلاد ملتقى للتجار المغاربة والأحباش[٣] .

كانت الواحات الليبية من أهم مراكز جلب الرقيق الأسود ومنهم الأحباش، فقد تحدث اليعقوبى[٤]عن مراكز تجمع الرقيق الأسود مثل زويلة وكوار وفزان والتي كان تجارها البربر يقومون بجلب "الرقيق السودان من الميريين والزغاويين والمروريين وغيرهم من أجناس السودان لقربهم منهم وهم يسبونهم". وهو ما نجد له نظيرا عند كل من ابن سعيد [٥]والحميرى[٦]حيث تحدثوا عن القوافل التجارية التي كانت تخرج من المناطق الصحراوية الليبية ومدن افريقية وأرض الجريد إلى بلاد الحبشة محملة بالزئبق والزعفران والثياب لتعود بجلبها من الرقيق وغيره. ويبدو أن أعداد الأحباش والسودان عامة بتلك المدن كان وفيراً حتى أن عقبة بن نافع حَصَّلَ الجزية من أهلها في صورة عبيد، فقد فرض على أهل

---

[١] مصدر سابق ، جـ١ ، ص ٥٣.

[٢] الهجراني:مصدر سابق، ج٦، ص٢٥٧.

[٣] الإدريسي:مصدر سابق، ج١، ص٥٣، ابن جبير:الرحلة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ت، ص٣٧، العمري:مصدر سابق، ج٣، ص٤٨٧.

[٤] مصدر سابق، ص ٣٤٥.

[٥] مصدر سابق ، ص ٤٦.

[٦] مصدر سابق ، ص ص٢٨٢، ٣٣٢.

فزان" ثلاثمائة عبدا وستين عبدا" [١]وهو العدد ذاته الذي فرضه علي أمراء ودان وقصور كوار جنوب فزان[٢].

وتأتي في هذا السياق إشارة الفقيه المالكي ابن يونس الصقلي[٣] (ت٤٥١هـ/ ١٠٦٠م) بأن "الفزازنة جنس من الحبشة"، للتأكيد على كثرة الأحباش في هذه المدينة. كما أدرج الهمداني[٤] فزان ضمن بلاد السودان. وهكذا ذكر أحد الباحثين[٥]بأن السواد الأعظم من سكان فزان تسود فيهم الصفات الزنجية رغم أن سكانها الأصليين لم يكونوا من الزنوج بل كانوا من البربر، ثم تسربت إليهم الدماء الزنجية في مختلف العصور حتى طغت صفات الزنوج على صفاتهم.

لم يحُلْ البعد النسبي للحبشة عن المغربين الأوسط والأقصى دون قيام علاقات تجارية، فقد كانت تدخل منهما القوافل "إلى تخوم الحبشة من وراء الصحراء"[٦]؛ لجلب الذهب والمسك والعقاقير والعبيد والخدم[١]. وهكذا

---

[١] ابن عبد الحكم: مصدر سابق، ص٢٦٢، البكري: مصدر سابق، ج٢، ص٦٦١.

[٢] ابن عبد الحكم: مصدر سابق، ص٢٦٤، البكري: نفسه.

Fisher (Humphery): Slavery in the History on Muslim Black Africa, London, 2001, p.149 , Pipes D: Slave Soldiers and islam: The Genesis of amilitary system , New Haven , 1981 , p.142 , Roth W: Oqba ibn Nafi' , el – Fihri , der Erobere Nordafricas , Gottingen, 1859,p.36

[٣] ابن يونس الصقلي:الجامع لمسائل المدونة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٣ م، ج٢٢، ص٤٧٦.

[٤] صفة جزيرة العرب، ص٤٠.

[5] Despois J: Mission scientifique du Fezzân, 1944-1945: Anthropologie et ethnologie,Paris,1948,pp.32-33.

[٦] ابن الخطيب:نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د.ت، ص٧١

انتشرت بالمغرب الأقصى أسواق بيع "الرقيق الحبشان"[٢]. وقد أورث تواجد التجار المغاربة بأرض الحبشة أهلها حب التشبه بهم فـ"زيهم زي المغاربة... وسلاحهم فيه درق كدرق المغاربة ... ونعالهم كنعال المغاربة"[٣]. وقد جرت عادة التجار عند شراء الأحباش طلي أجسادهم بالزيت ويرون في ذلك منفعة لهم[٤].

كان **الخطف** أحد روافد جلب الاحباش لبلاد المغرب؛ فيبدو أن تقاطر القوافل التجارية إلى الحبشة وما كانت تدره من أرباح من جراء تجارة الرقيق قد أوجدت مناخاً خصباً لخطف الأطفال الصغار الأحرار وبيعهم رقيقاً[٥].

وظلت تلك الظاهرة حاضرة خلال العصر الاسلامي؛ حيث اعتاد اللصوص بصحبة التجار خطف "الصبيان والصبيانة من اولاد الحبشة فيسقلبونهم [يخصونهم] ويخرجونهم الي جميع الاقطار ويبيعونهم ... الي بلاد اليمن والهند والمغرب" [٦].واشار الادريسي [٧] – ومن نقل عنه [٨] – الي وجود ظاهرة الخطف

---

[١] الزهري: مصدر سابق، ص ١٢٥.

[٢] ابن الخطيب:معيار الاختيار، ص١٥٢.

[٣] ابن حوقل: مصدر سابق ، ص ص ٦٢، ٦٣ .

[٤] ابو العلاء المعري:اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، تحقيق محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، ص١٤٨١.

[٥] مؤلف مجهول: كتاب في الجغرافيا، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم ٤٦ بعثة المعهد الاولي إلى المغرب، ورقة ٣٥، مجهول: حدود العالم، ص١٤٨، ناصر خسرو:مصدر سابق، ص١١٨، بنيامين التطيلي:مصدر سابق، ص٣٤٦، الإدريسي:مصدر سابق، جـ ١ ، ص ٤٦، الحميري:مصدر سابق، ص١٨٠.

[٦] مجهول: كتاب في الجغرافيا، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم ٤٦ بعثة المعهد الاولي إلي المغرب، ورقة ٣٥

[٧] م.س، جـ١، ص٤٦ .

[٨] الحميري: مصدر سابق، ص ١٨٠ والذي استبدل جوة بجور .

بقرية جوة الحبشية والتي ذاع صيت أهلها بأنهم " يسرق بعضهم أبناء بعض ويبيعونهم من التجار فيخرجونهم الي البر والبحر". واستحثت هذه العمليات همم الفقهاء والمفتين فأصدروا عددا من الفتاوى التي تحرم امتلاك الأحباش حتى تقام عليهم البينة بأنهم عبيد وليسوا أحرارا مختطفين، في لمحاولة للحد من الظاهرة والتصدي لها[١].كما أوجب الفقهاء عند بيع الحبشي أن تشتمل وثيقة بيعه أنه "في يد البائع وملكه وتصرفه المقر له بالرق والعبودية المدعو فلان الحبشي الجنس المسلم ومن حليته كذا وكذا"[٢].

فضلا عن التجارة والخطف تشير المصادر إلى **الجريمة والهدية** كأحد روافد استرقاق الاحباش وجلبهم، حيث تشير المصادر ان ملوك بلاد الزنج والحبشة كانوا يسترقون من شاءوا من رعيتهم "بجرم وبغير جرم"[٣].كما جرت عادة حكام الحبشة واليمن ومصر إرسال الهدايا الى نظرائهم من الامراء والسلاطين وكان منها الرقيق الاحباش[٤].ولكثرة عدد الأجباش بمصر فقد اعتاد حكامها إرسال الأحباش ضمن هداياهم[١].

---

[١] ابن ابى زيد القيرواني: النوادر والزيادات علي ما في المدونة من غيرها من الأمهات، ، تحقيق محمد عبد العزيز الدباغ، ط. دار الغرب الاسلامي، **١٩٩٩**، ج**٣**، ص**٦٩**، ج**٩**، ص **٣٩٧**، **١٨٩**، الونشريسى: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والاندلس والمغرب، تحقيق مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت، **١٩٨١**م، جـ**٩**، ص **٢٣٩**.

[٢] القرافي:الذخيرة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، **١٩٩٤**، ج**١٠**، ص**٣٥٥**.

[٣] المقريزي:المواعظ، ج**١**، ص**١٩٣**.

[٤] ابن حوقل:مصدر سابق، ص**٢٤**، ابن المجاور: مصدر سابق ، **٣٧٨**هـ وفيها اهدي من مصر "خمسون حبشيا وثلاث زرافات".البستان الجامع لجميع تواريخ اهل الزمان، ص**٢٦٩**، ابن الخطيب:الاحاطة ، ج**٢**، ص**٢٠٠**، السخاوي:التبر المسبوك في ذيل الملوك، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، **١٣١٥**هـ، ص**٦٧**، ابو القاسم الزياني: البستان الظريف في دولة اولاد

حضور الأحباش ودورهم ببلاد المغرب.

كان للأحباش حضور بالمغرب قبل العصر الإسلامي، فقد امتدت علاقات تجارية للقرطاجيين مع الشرق الإفريقي بغية الاتجار فيهم؛ مما أسفر عنه تدفقهم بشكل ملحوظ لتمتلا بهم أسواق النخاسة، وتم استخدامهم في أغراض اقتصادية على نحو عام ومهام منزلية على نحو خاص[٢]، كما تذكر المصادر القديمة أن الأحباش – والذين نعتوا فيها باسم الإثيوبيين – قد تم إدراجهم ضمن الحرس الخاص للقادة الرومان لشمال افريقية وحسب شهادة سترابون تم شحن الآلاف منهم إلى أسواق حوض البحر المتوسط بما في ذلك الشمال الإفريقي خلال الحكم الروماني[٣].

ترد بالمصادر إشارات دالة على حضور للأحباش ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط ممن عرفوا بـ "حبشة المغرب"[٤]. فأول هذه الإشارات تأتي في سياق الحديث عن حملة موسى بن نصير على بلاد المغرب؛ حيث دخل "مدينة سجلماسة

مولاي الشريف، تحقيق راشد الزاوية، مركز الدراسات والبحوث العلوية، المغرب، ١٩٩٢، ق١، ص٤٤٣، السلاوي:مصدر سابق، ج٣، ص١٢٩.

١الأصفهاني:لبستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ، ٢٠٠٢ م، ص٢٦٩.

(2)Anene (Y.C): "Slavery and Slave trade", in Africa in the nineteenth and twentieth centuries, press, p . 96.

(٣) فيجي.ج.دي: تاريخ غرب افريقية، ترجمة السيد يوسف نصر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢، ص٤٣ ، Bechey (RW): The Slave Trade of Eastern Africa, London, 1976,p3.

(٤) ابن خلدون:مصدر سابق، ج٢، ص١٤.

ووجد بها قوماً من الأحباش"[١]، مما يدعم القول السابق بدخول الأحباش إلى المغرب الاقصى عبر السودان الغربى. وفي ترجمته لاسماعيل بن عبيد الأنصاري المعروف بتاجر الله ذكر أبو العرب تميم[٢] أنه "صاحب سوق مسجد الأحباش"، فهل يمكن التكهن بازدياد أعدادهم بافريقية حتى كان لهم مسجد عرف بهم؟ لا سيما وأن صاحب السوق كان مشهوراً بالتجارة في شتى أنواع الرقيق[٣]. وانطلاقاً من هذا التساؤل نضع تلك الإشارة التي تخص أحد أسوار مدينة قسنطينة الذي نسب أيضاً للأحباش وعرف بـ"سور الحبشية"[٤]. وفي دولة بني زيان تشير المصادر إلى أن السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق استعمل على الجباية في سجلماسة "أبا طالب الحبشي"[٥].

تكشف المصادر عن أعلام مغاربة ذوي أصول حبشية، فقد قيل أن "راشد بن مرشد" مولى الإمام إدريس الأول انحدر من أب حبشى[٦]. وأن الشاعر التونسى حسين التميمى (٤١٠هـ/ ١٠١٩م) يعود بنسبه إلى أصول حبشية؛ حيث هجاه أحد شعراء القيروان قائلاً:

---

[١] ابو حيان النحوي:كتاب في انساب المغرب، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم ٤٥ بعثة المغرب الأولي إلي الرباط.، ورقة ٣.

[٢] طبقات علماء افريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص٢٠.

[٣] ابو العرب تميم:مصدر سابق، ص٢٠.

[٤] محمود مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزاوي ومحمدج محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٨، ج١، ص٥٩٢.

[٥] ابن خلدون:مصدر سابق، ج٧، ص٢٤٨.

[٦] مجهول: نسب بعض الصحابة والأشراف الإدريسيين وغيرهم من ملوك لمتونه والموحدين، مخطوط بعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٢٥٥١تاريخ، ورقة ١٩، ابن القاضى: جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ط.دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣، جـ١، ص ١٨، هامش ١٥.

أغـراب أنـت مـا بـين الـرخم أم عتـود أنـت مـا بـين الغـنم
حبشـــى اســـود ذو هيـــئة سارق الألفاظ من كل الأمم

وامتداداً لهذا السياق نشير إلى بعض المغاربة الذين حملوا ألقاباً او أسماءً تنم عن انتماء إلى الحبشة، مثل الصوفى الشهير أبي يعزى يلنور الذي أكدت بعض المصادر أنه يعود إلى أصول حبشية فعرف بـ "العبد الحبشى"[١]، ولما أشاد به الشيخ عبد القادر الجيلالي قال عنه "عبد حبشي بالمغرب اسمه آل النور، وكنيته أبو يعزى، له مقام عظيم قلّ من يبلغه من الأوائل والأواخر"[٢]. والشيخ "بلال بن عبدالله الحبشي" خادم الشيخ أبي مدين والذي كساه خرقة التصوف، فخدمه نحوا من ١٥ عاما حتى توفي[٣]. والصوفي "مسلم الحبشي" الذي كان مشهوراً يالعبادة والبكاء[٤]. والشيخ "أبو سعيد الحبشي" أو "أبو سعيد الأسود"، وكان صاحب زهد وكرامات، مقيماً بأحد الأربطة بمدينة فاس، ثم انتقل منها إلى الشيخ أبي يعزى وتولى مهمة جمع الحطب لطبخ طعامه وطعام ضيوفه[٥]

نظراً لما تمتعوا به من شجاعة وقوة بدنية فقد تسرب الأحباش إلى المؤسسة العسكرية. وتأتي هنا المعلومة الأهم، والتي تتعلق باستكثار الأمير الأغلبي ابراهيم الثاني من العنصر الأسود بشكل عام ومن بينهم الأحباش؛ ليستبدل بهم قوة عسكرية أخرى ثارت ضده عندما رفضوا طلبه بمغادرة القصر القديم لأنهم نشأوا

---

[١] مجهول: المعزى فى مناقب ابى يعزى، مخطوط بعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٢٠٤١ تاريخ، ورقة١٠٣، ابن أيبك الداوداري:مصدر سابق، ص٢٦٧.
[٢] التادلي:المعزي، ص٢٩٢.
[٣] المقري:مصدر سابق، ج٥، ص٢٤٢.
[٤] التميمي:مصدر سابق ، ص١٦١.
[٥] التميمي:مصدر سابق ، ص١٦٨.

هناك، وكانت أعداهم غفيرة حتى قيل أنهم بلغوا "مائة ألف عبد"؛ ورغم طابع المبالغة الذي يحيط بهذا الرقم فإنه لا يخلو من دلالة عن كثرتهم الكاثرة حتى ان الأمير استفرغ في سبيل شرائهم بيت المال، واضطر الى تحويل مصاغ نسائه عملة لاتمام عملية الشراء، وأسكنهم ثكنات خاصة في رقادة وامر بكسائهم وتدريبهم على حمل السلاح[١]. ويبدو أن هذه الجموع السودانية الغفيرة ضمت أعداداً من الأحباش، ولا أدل على ذلك من أن الأمير اختار منهم عبداً يدعى "ميمون الحبشي" -بلغت مهارته العسكرية درجة كبيرة- وعينه قائدا للجيش، وعهد إليه بالقضاء على الثورات العنيفة التي اندلعت ضده بافريقية، وتسهب المصادر في جهود ذلك الحبشي العسكرية، ففى عام **٢٧٤**هـ/**٨٨٧**م انتدب الأمير قائده الحبشى ميمون الخادم للقضاء على ثورة أهل قمودة وباجة وصطفورة والاربس "فقاتلهم حتى انهزموا"[٢]، وفى عام **٢٨٠**هـ/ **٨٩٣**م تمكن من إخماد ثورة مدينة تونس التى أقلقت مخاوف الأمير الأغلبى مرارا فعاد ميمون إلى بلاد القيروان مظفرا [٣]، ومعه الأسرى الذين تم استعراضهم بشوارع القيروان فبلغوا " ألف ومائتي أسير وهم اكابر القوم ورؤساهم"[٤]، فخلع عليه الأمير عند عودته إلى القيروان أجمل الحلل من "الخز والوشى والديباج وطوقه بالذهب" [٥]. كما تشير

---

[١] ابن عذاري:مصدر سابق، ج**١**، ص**١١٩**، **١٢٣**النويري:مصدر سابق، ج**٢٤**، ص**١٢٩**.

[٢] ابن عذارى:مصدر سابق، جـ**١**، ص **١٢٣**، **١٢٩**، النويرى: مصدر سابق، جـ**٢٤**، ص **١٣٣**.

[٣] ابن عذاري:مصدر سابق، جـ**١**، ص **١٢٩**،

[٤] النويري: م.س، نفس الجزء والصفحة .

[٥] ابن عذارى : مصدر سابق ، جـ**١** ، ص **١٢٩**.

المصادر إلى قائد آخر عسكري آخر يدعى "ابراهيم بن حبشي" تولى قيادة الجيش الأغلبي حاول التصدي لأبي عبدالله الشيعي[١].

لا أدل على تجنيد الأحباش في المؤسسة العسكرية من أنه بعدما اسقط الفاطميون دولة الأغالبة، انضم هؤلاء الأحباش إلى جيش المهدى الفاطمى[٢]، الذي لم يكتف بأعدادهم بل راح يستكثر منهم حتى أنه جند فى جيشه "من العبيد اثنى عشر ألف مملوك بين رومى وحبشى"[٣]. ولم يتردد الفاطميون من بعده – وإدراكا منهم لدور الأحباش العسكرى- فى إبرام اتفاقيات تجارية مع حكام الحبشة والنوبة للحصول على دفعات جديدة من الرقيق[٤].

نلمح حضورا للأحباش في المؤسسة العسكرية من خلال مطالعة بعض المصنفات الأدبية، فقد وصف الشاعر القيروانى محمد بن عبدون الوراق (ت**٣٧٩**هـ/**٩٨٩**م) ما حل بسوسة من دمار خلال بعض المداهمات العسكرية التى تعرضت لها المدينة من قبل بعض القوى السياسية لمغرب القرن الرابع الهجرى فكان مما ورد على لسانه:

فأين تلك الخدور أين بدور حجبتها الحبوش والاعلاج[٥]

مما يفصح عن انخراط واضح للأحباش ضمن مؤسسات البلاد العسكرية. ولعل ما يؤكد ارتباط الاحباش بالعسكرية وحضورهم كمحاربين قول الشاعر ابن زقاق البلنسي[١] يمدح احدهم :

---

[١] ابن عذاري:مصدر سابق، ج**١**، ص**١٣٧**.

[٢] ابن عذاري:مصدر سابق، ج**١**، ص**١٥٠**.

[٣] ابن الخطيب: المغرب ، ص**٥١**.

[٤] محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ج**٢** ، ص **٤٨٦**.

[٥] ابن رشيق: الانموذج، ص **٣٩٤**.

بـــروق الليـــل في اشراقـــه كســيوف بــأكف الحبشــي.

تؤكد كتب الادب عن حضور للأحباش بالمغرب ودراية بمواصفاتهم الجسمانية، ففى إطار ما اشتهر به شعراء العصر من التغنى بالغلمان واختصاصهم بالغزل[٢]، أنشد ابن رشيق القيرواني شعراً فى وصف غلام حبشى كلف به قائلاً عنه:

أعجــب مــا فيــه أن رويتــه تكحل زريق العيون بالدعج

فديتــه مــن مهفهــف غــنج كأنــه مــرود مــن الســبج[٣]

ووصف الشاعر الأندلسي "ابراهيم بن خفاجة" فاكهة التين بقوله :

كــأني اقطــف منهــا ضــحى ثدي صغار بنات الحبش[٤].

ووصف الوزير والشاعر أبو جعفر الوقشي (ت٥٧٤هـ/١١٧٩م)- أثناء مجلسه بالمغرب مع بعض ندمائه- عبداً حبشياً وهو يصعد شجرة لوز فأتى منها بغصن:

وزنجــي ألم بغصــن نــور وقد زفت لنا بنت الكروم

فقــال فتــى مــن النــدماء صــفه فقلت الليل أقبل بالنجوم[١]

---

[١] ديوانه، تحقيق عفيفة محمود ديراني، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ص١٩٥، الاصفهاني:خريدة القصر، ص١٨٤.

[٢] عن التغزل بالغلمان الأحباش انظر :ابن الشعار:مصدر سابق، ج٨، ص١٩٢.

[٣] النواجى: مراتع الغزلان فى وصف الغلمان ، مخطوط بعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٧٥٦ تاريخ ، ورقة ١٤.

[٤] النويري:مصدر سابق، ج٣، ص٢٠٢.

ولأن الأحباش فيهم "جلد على الكد"[٢]، ويصلحون "للأعمال الشاقة من الحرث والكراب وغير ذلك"[٣]، تم تسخيرهم للعمل فى بعض المناجم، فحسب رواية فريدة لابي حيان[٤]دخل موسى بن نصير مدينة سجلماسة "ووجد بها قوماً من الأحباش ... كانوا يعملون باستخراج النحاس والذهب" وهو مجال عمل فيه الرقيق الأسود فى جهات أخرى مثل السوس الأقصى حيث كان "العبيد والخدم يستخرجون التبر"[٥]، ومدينة تكدا التى تولى فيها العبيد سبك النحاس[٦].

كما ترد إشارات تفيد بتسخير أحباش في خدمة القوافل التجارية، فقد هلكت قافلة تجارية كانت في طريقها إلى جبل نفوسة ولم ينج منهم سوى "عبد حبشى فاخبرهم فحكموا بموتهم" [٧]. وترد رواية أخرى تخص احد تجار القيروان خرج فى قافلة تجارية له شطر مصر "ومعه عبد حبشى" [٨].

لا تقل كتب الوثائق اهمية فى الكشف عن الأحباش داخل المجتمع المغربى، فحسب ما ورد في بعض الوثائق الفاسية اشهد فيها احدهم انه اعتق مملوكه

---

[١] ابن الأبار:الحلة السيراء، ج٢، ص٢٦٦.

[٢] ابن بطلان: رسالة فى شرى الرقيق وتقليب العبيد، تحقيق عبد السلام هارون، سلسلة نوادر المخطوطات، مطبق لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٤، ص ٣٧٤.

[٣] مجهول: التحقيق فى شراء الرقيق، ورقة ٤٧.

[٤] كتاب فى انساب المغرب، ورقة ٩.

[٥] مجهول: كتاب فى الجغرافيا، ورقة ١٠٢.

[٦] ابن بطوطة: مصدر سابق ، ص ٦٧٨، بنمليح: مرجع سابق، ص ٣٢٤.

[٧] الوسيانى: سير أبي الربيع الوسياني، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم ٩١١٣ح، ميكروفيلم ٣٢٧١، ورقة ٢١.

[٨] التمبكتى: منهاج أولى اليقين ببيان حال المتقين، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب ، تحت رقم ٦٠ تصوف تيمور عربى ميكروفيلم ٢٦٢٦٤ ، ورقة ٢٥.

"الحبشى الأصل عتقا صحيحا"[١] .كما ترد ثلاث وثائق تخص بيع نفر من الأحباش داخل مدينة فاس[٢]. وحسب وثائق الجنيزة بيع طفل حبشى يدعى "مقبول" دون أمه رغم انه لم يتعد السادسة من عمره، بيد أن القدر جمع شملهما بعد سنوات حين بيع إلى سيد أمه فجمعا فى منزل واحد[٣].

وفضلاً عما تقدم، تعبر قرائن أخرى عن حضور الأحباش داخل المجتمع المغربى ونقصد بذلك معرفة اللغة الحبشية فى صفوف بعض فئات المغاربة، ففضلا عن إجادة بعض العلماء للغات عدة منها "التركية والحبشية والرومية والزنجية"[٤]، تناول بعض الفقهاء تفسيرات لمفردات حبشية تداولها الناس في المجتمع المغربي[٥]. وذكر أبو زكريا[٦]أن الشيخ الأباضي أبا عبيدة عبد الحميد الجناونى اعتذر للأمير الرستمى عبد الوهاب بن رستم عن توليه عاملا على جبل نفوسة بحجة أنه ضعيف فأرسل إليه الأمير رسالة أقسم فيها "بالله بالعربية وبربك بالحضرية و"امر" بالبربرية و"آن" بالحبشية، لا أقلد المسلمين إلا رجلا يقول أنا ضعيف"، مما يفصح عن تداول هذه اللغة فى مدينة تاهرت ربما لانتشار الأحباش بها نتيجة العلاقات التجارية التى ربطت الرستميين بشرق افريقية وبلاد السودان

---

[١] ابن سلمون الكناني: الوثائق الفاسيات، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم ٤٢٧، فقه مالك، مصورات الازهر، رواق المغاربة، ورقة ٢١.

[٢] ابن سلمون:مصدر سابق ، ورقات ٢٠، ٢١ ، ٢٥ .

[3] Goitein (S.D): "Slaves and slave girls in the Cairo Geniza Records",Arabica, t.9, Fas.1, Leiden, 1962,p.10

[٤] ابن الشعار: قلائد الجمان، ج٥، ص٢٦.

[٥] ابن رشد:البيان والتحصيل، ج٣، ص٣٠٢، ج١٧، ص١٣١، ج١٨، ص٢٣٦، ٥٥١.

[٦] مصدر سابق ، ص ١٢٥ .

الغربى التى تسرب عبرها بعض الأحباش إلى الحاضرة الرستمية[١]. وهو ما تدعمه رواية ابن الصغير[٢]التى تترجم لأحد تجار العبور إلى بلاد السودان يدعى "محمد بن عرفة" والذى وفد فى احدى رحلاته على احد ملوك السودان الذى راعه جمال التاجر المغربى ووسامته وقال له " كلمة بالسودانية ليست تعبر بالعربية لان لا مخرج للامساك إنما هو فيما بين القاف والكاف والجيم، إلا أن معناها " أنت حسن الوجه"..."، لا يخفى حتماً ما تحمله الرواية من مغزى يكشف عن دراية تامة للغة السودانية وقواعدها ومخارجها من قبل المؤرخ الرستمى وهو ما ينسحب ربما على غيره من أهل القلم نتيجة احتكاكهم المباشر بالعناصر السودانية – ومنها الأحباش – التي عرفتها البلاد خلال تلك الفترة، ولعل في تخصيص أحدهم مؤلفا حمل عنوان "نور الغبش في لسان الحبش"[٣] ما يؤكد على ذلك.

من خلال نازله عُرضت على الونشريسي[٤] يمكن القول بأن حضور الأحباش ببلاد المغرب لم يتوقف طيلة العصر الوسيط، حيث سئل عن "العبيد القادمة من أرض الحبشة يعترفون بالتوحيد وبفروع الشريعة هل يجوز بيعهم وأبتياعهم أم لا ؟" فأفتى بالجواز استناداً أن الأصل في بلاد الأحباش هو الكفر وان الشك في تقدم اسلامهم عن تملكهم أمر مشكوك فيه وعليه فإن "العبيد القادمين من أرض الحبشة..لا يمنع اعترافهم بذلك الاقدام ببعهمخ وابتياعهم اعتمادا على أصالة الكفر".

---

(1) Marcy (G): " le dieu des Abadites et des Barghwta " Hesperis ,t. 22 , 1936 , p. 33.

(٢) أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦، ص ٧١.

(٣)نسب السيوطي هذا الكتاب الى أبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ/١٢٤٤م) انظر بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ، بيروت ، ١٩٦٤ ، جـ١ ، ص ٢٨٣.

(٤)مصدر سابق، ج٩، ص٢٣٩.

تشير المصادر إلى بعض العادات الخاصة بالاحباش، مثل التفلفل بالمسك والعنبر[١]، وأكل لحوم الأسماك نية[٢]. ويبدو أنه كان للأحباش زي يميزهم حيث أن العبد الذي تمكن من قتل صاحب الزنج قد تنكر له في "زي حبشي"[٣]. ويمكن الاستئناس هنا باشارات تفيد بأن عنصر السودان ببلاد المغرب اعتادوا لبس الجلود المدبوغة من جلد الماعز والنمور[٤]، ويبدو ان تلك التي عناها ابن الخطيب[٥] حين تحدث عن ألبسة السودان في بلاد المغرب الأقصى ونعتها بالأردية الافريقية، والزياني[٦] حين أشار إلى "كسوة السودان". وجرت عادة الناس لحماية الطفل من العين والحسد أن يأخذوا بول سبعة أنفس "أحدهم حبشي وصبوه عليه".[٧]

---

[١] القفطي:مصدر سابق، ص٢٣١.

[٢] الجاحظ:الحيوان، ج٧، ص١٤٨.

[٣] الداوداري: كنز الدرر وجامع الغرر، ج٥، تحقيق دوروتيا كرافولسكي، مطبعة الحلبي، ١٩٩٢، ص٢٦٧.

[٤] السيرافي: الرحلة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩، ص ٨٨، ابو حامد الغرناطي:تحفة الالباب ونخبة الاعجاب، تحقيق اسماعيل العربي، دار الافاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٣، ص٤٠، ابن سعيد:بسط الارض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط، معهد مولاي حسن، تطوان، ١٩٥٨، ص٢٤، ابن بشكوال:غوامض الاسماء المبهمة الواقعة في متون الاحاديث المسندة، تحقيق عز الدين السيد ومحمد كمال، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص٦٢٦، النويري:مصدر سابق، ج١٥، ص٢٢٨.

[٥] اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق لجنة احياء التراث، دار الافاق ، بيروت، ١٩٨٠، ص٣٨.

[٦] مصدر سابق، ص٤٤٣.

[٧] ابو حيان التوحيدي:البصائر والذخائر، تحقيق وداد القاضي، دار صادر ، بيروت، ١٩٨٨، ج٩، ص٥٤.

صفوة القول، إن الأحباش كان لهم حضور ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط، إلا أنه ظل حضوراً باهتاً إذا ما قورن على الأقل برقيق السودان الغربى، ويبدو أن البعد الجغرافى لبلاد الحبشة عن المغرب قد أسهم فعليا فى هذا الأمر. وقد تسرب هؤلاء الأحباش إلى بلاد المغرب عبر حركة التجارة وعن طريق الهدية فضلاً عن خطف الأحرار منهم وبيعهم رقيقاً في أسواق النخاسة.وقد تجلى حضور الأحباش بشكل كبير في المؤسسة العسكرية نظراً لما تمتعوا به من قوة بدنية وجلد، كما تم تسخيرهم في بعض الأعمال المهنية الشاقة كالتعدين ومصاحبة قوافل التجارة في مسالك الصحراء.